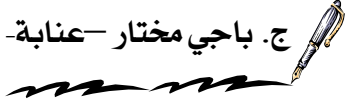


النص العلمي العربي المترجم واشكالية التواصل

د. / الشريف بوشحدان

ج. باجي مختار - عنابة-



توطئة:

يُعدُّ التواصل مع النص العلمي المترجم من الإشكالات التي تقف عائقاً أمام انتقال المعارف والنظريات والمناهج إلى اللغة العربية انتقالاً سريعا. وقد بُذلت جهود كبيرة من الباحثين والمؤسسات العلمية من أجل بلوغ هذه الغاية الحضارية.

وهدي في من هذه الدراسة معالجة هذه الإشكالية في إطارين؛

الأول لساني علمي ضمن ما يسمى بالترجمة التأصيلية التي تقتضي من المترجم إنجاز نص يوازي النص الأصلي من حيث المحتوى العلمي دون زيادة أو نقصان بالأسلوب المناسب.

والثاني تواصلي تداولي؛ إذ اللغة العلمية بكل بساطة هي تلك التي تمكن من نشر العلم وإنتاجه. وإن تشجيع هذا المستوى التواصلي من اللغة هو تدعيم للغات الوطنية وخدمتها الخدمة الحضارية حتى تكون لغات علم وتكنولوجيا، بها يرتقي البحث العلمي والتقني، وبفضلها تكتسب المعارف وتنتشر، وهما معا دليل على حيويتها وصلاحها للتواصل العلمي الناجع.

أولاً: مفاهيم أساسية في الدراسة

إذا كانت الترجمة في جوهرها هي نقل المعنى من لغة إلى لغة أخرى، وإذا كانت كل لغة تشكّل كلاً متفرداً، وتقطع التجربة الإنسانية بكيفية مخصصة، فإنه لا يمكن الحصول على مدلولات متطابقة بين لغتين أو أكثر، فتؤول الترجمة حينئذ إلى اعتماد كلمات ذات مدلولات تقريبية⁽¹⁾.

ومن هنا لم يعد ينظر إلى الترجمة إلاّ من خلال النصوص، فاعتبرت عملية تُنفذ على النص انطلاقاً من نص آخر في لغة أخرى، ففسّرت بأنها استبدال نص في اللغة الأولى بنص آخر في اللغة الثانية⁽²⁾. وإن أهم حدث ترجمي في الوقت الراهن هو إعطاء عناية كبيرة للنص في اللغة المترجم إليها وللقارئ المترجم له.

أما النص العلمي فيعرف بوظيفته، وهو نقل محتوى دلالي خاص بنشاطات معرفية تواصلية دون هدر للمعلومات ودون غموض ولو كان ضئيلاً. ويختص النص العلمي بما يختص به الخطاب العلمي من مقومات ينبغي أن تجتمع فيه دون غيره، وهي:

1- **الوضوح:** وهو عدم اللبس، فلا ينبغي أن يجعل للفكرة الواحدة ما يحتمل معنيين أو أكثر، إنما تعرض الفكرة العلمية ناصعة لا غموض فيها. تختار حينها الكلمات بدقة وتستعمل الجمل والعبارات بعناية وتحكم كبيرين⁽³⁾، ينعلم فيها المجاز وتغيب عبارات التفخيم والإجلال.

2- **الموضوعية:** يفترض في النص العلمي "اختفاء شخصية المؤلف، وإن ظهر منها شيء فبصورة عفوية غير مقصودة، لا تؤثر في المحصلة الفكرية العلمية المنشودة"⁽⁴⁾.

3- الانتظام: إن النص العلمي كلّ شامل من الأقوال المتناسكة التي يفترض فيها الخلو من التناقض، وأن تكون مرتبة غير متناقضة لتشكّل بناء هرميا مرصوفا من الحقائق والأفكار التفصيلية الدقيقة⁽⁵⁾، وهذا أقرب إلى روح العلم، "فعلى الرغم من حاجتنا إلى حجارة لبناء المنزل، فلا تصبح هذه الحجارة منزلا إلا إذا نُظمت ووُضعت بشكل هندسي حسب مخطط"⁽⁶⁾.

4- الاقتصاد: هو الاستغناء عن الكثير بالقليل⁽⁷⁾، وهو في اللغة الإيجاز، والإيجاز من الدقة، وهما من أعمدة المعرفة العلمية التي تلجأ إلى استعمال الرموز. وكلّما كانت هذه الرموز منظمة متكاملة، معبرة عن تحليلنا للواقع من دون إطناب أو غموض كانت أكثر استحسانا، وكانت محل اتفاق بين المشتغلين بذلك العلم، "إذ لا معرفة بغير تحليل، ولا تحليل بغير رموز"⁽⁸⁾.

ويمكن أن نصنّف النصوص العلمية من منظار تواصل بحسب مستويات اللغة العلمية. وهذا يكتننا من تحديد الأهداف، وضبط حاجات المتعلمين، ومعرفة المادة العلمية، وطبيعة النصوص وأنواعها التي يمكن أن تكون سندا تعليميا.

ومهما اختلف الباحثون في تعداد مستويات اللغة العلمية، فإنهم يتفقون عموما على تفرّعها إلى مستويين هما:

أ/- اللغة العلمية العامة: la langue scientifique générale

ب/- اللغة العلمية المتخصصة: la langue scientifique spécialisée

أما اللغة العلمية العامة فهي وسيلة تواصل معرفي أو مهني عام. يفترض أن تكون معروفة لدى فئة واسعة من المنتمين إلى قطاع معين من المعرفة والمهنة، مثل قطاع الصحة، والفلاحة، والتجارة، والقوّات المسلّحة، وصناعة الحديد والصلب، والبتروكيمياء...⁽⁹⁾

أما اللغة العلمية المتخصصة فتتميّز عن اللغة العلمية العامة بمصطلحات مخصوصة، أي لا توجد في غيرها، وإن وجدت في قطاع آخر أو في غيره من الميادين العلمية الأخرى، فغالبا ما تكون مفاهيم مصطلحاتها مختلفة⁽¹⁰⁾.

وما يجعل العلوم يختلف بعضها عن بعض مصطلحاتها، يقول "آلان ري ALAIN REY": "إن البحث الاصطلاحي الذي يعد واحدا من الأنشطة العلمية لا يخص من اللغة إلا المفردات"⁽¹¹⁾.

إن اللغة العلمية المتخصصة تجسّد الصفتين الأساسيتين للمصطلح في أبعاد صورها هما: الوضوح والدقة إذ إن مجرد إعطاء معلومات تقريبية يعود بنتائج مؤسفة على الصعيد التفاهم والتواصل العلمي.

ثانيا: العوائق التي تحول دون بلوغ النص العلمي القارئ العربي:

إن أكبر العقبات التي تواجه المترجم بشكل عام أنه منقوص الحرية؛ حرية الكتابة أو الحرية الفكرية، فهو مطالب بأن لا يخرج عن النص الأصلي، وأن ينقل محتواه بكل أمانة مهما اختلفت اللغتان لسانيا وثقافيا، إنه مجبر على إتقان مهارتين في لغتين مختلفتين؛

- مهارة الفهم في اللغة المترجم منها.

- مهارة التحرير وفنون الصياغة العلمية في اللغة المترجم إليها.

أما أبرز ما يواجه المترجم العربي على وجه الخصوص فهو قدرته على إضفاء الطابع العربي الأصيل على النص المترجم إليه مع أخذ مستلزمات الوضوح والإبانة حتى يكون النص بليغا، وبلاغته تلك من التبليغ والتوصيل.

ومما لا شك فيه أن النص العلمي العربي المترجم يفتقد -على العموم- إلى مبدأ التكافؤ مع النص العلمي في اللغة المصدر (المترجم منها)؛ قصور أو تشويه على مستوى نقل أفكار النص الأصلي، ثم خرق قواعد اللغة المترجم إليها -وهي هنا اللغة العربية- وعدم استثمار إمكاناتها التعبيرية لنقل محتوى النص العلمي في اللغة المترجم منها (اللغة المصدر). إضافة إلى عدم التحكم في اللغة العلمية المتداولة اصطلاحياً وأسلوبياً.

إن المترجم -كما لا يخفى على أحد منا- محكوم عليه أن يكون أميناً، وأمانة النقل عنده تخصّ نقل المضامين العلمية من لغة إلى أخرى لا نقل أشكالها. وقد يعتقد البعض أن الأمانة تفرض على المترجم إلى اللغة العربية الالتزام بأسلوب النص الأصلي. والحقيقة أن هذا الإجراء قد يخلّ بالأمانة العلمية ذاتها فيحدث تشويهاً في المعنى أو يجعله غامضاً. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الالتزام بأسلوب النص الأصلي أمر عسير وغير ممكن دائماً لأن لكل لغة نظامها الخاص وأساليبها في التعبير، إضافة إلى طريقتها في تقسيم العالم والأشياء. ولنا في الترجمة العربية لنصوص "دو سوسير" أمثلة متعددة، من ذلك أن لفظة "Terme" ترجمت عند أحدهم بلفظة "مصطلح" والمعنى غير ذلك، لأن المقابل الأصوب في اللغة العربية هو لفظة "الحد" جمع حدود. وفيما يلي الفقرة التي وردت فيها لفظة "Terme" في النص المصدر:

"Tous ce qui précédé revient à dire que dans la langue il n' y a que des différences. Bien plus une différence suppose en général des termes positifs entre lesquels elle s'établit; mais dans la langue, il n'y a que des différences sans termes positifs".⁽¹²⁾

فقد ترجمت كما يلي: " لا يوجد في اللغة إلا الاختلافات -والأمر الأكثر أهمية أن الاختلاف بشكل عام يقتضي ضمناً مصطلحات إيجابية بين ما يقرّره

أو يحدّده الاختلاف، ولكن لا يوجد في اللغة إلا الاختلافات بدون مصطلحات إيجابية⁽¹³⁾. والحقيقة أن البنية الكلية للنص، وما يحتويه هذا النص بشكل عام يجعل كلمة "مصطلح" غريبة في ذلك الموضع بالذات. والقارئ المتخصص يدرك أن هناك خلافا في نقل المفهوم إلى اللغة العربية، ولهذا الخلل أثره السلبي في توصيل المحتوى العلمي للقارئ العربي، فالكلمة ليست جزءا من الجملة فحسب، بل من النص بأكمله، كونها ملائمة لألفاظه وموضوعه وسياقه العام.

يقول "الجرجاني": "وهل تجد أحدا يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟"⁽¹⁴⁾

وهنا نؤكد على ضرورة المعرفة الدقيقة للتخصص الذي ينتمي إليه النص موضوع الترجمة، إذ لكل تخصص علمي أم مهني مصطلحاته الخاصة التي تشكل منظومة من المفاهيم العلمية، تجعل لكل مصطلح مفهومه الخاص داخل ذلك العلم أو التخصص.

ومن الأجدر أن يستثمر مدرّس الترجمة هذه المقاربة فيحدّد ميدان التخصص الذي ينتمي إليه النص، ويستخرج المصطلحات الأساسية التي فيه. فإذا أخذنا مثلاً- النص: "العلم والطعام لـ"فؤاد صروف" المأخوذ من كتاب "التمارين التطبيقية لكتاب الترجمة العلمية لـ"أنطوان شكري مطر"⁽¹⁵⁾ لوجدناه يحتوي على مجموعة من المصطلحات الدالة على الزراعة العلمية وهي⁽¹⁶⁾: "أنواع البذور، أنواع المحاصيل، آلات زراعية، القيمة الغذائية للأطعمة، ثقافة غذائية، وعلى رأسها مصطلح: "Agriculturisation" الموضع قياساً على مصطلح "تصنيع" "Industrialisation". وقد قدّم المؤلف للمصطلح شرحاً يمكن اعتماده

في فهم تفاصيل النص، مقابله العربي هو: "التزريع هو الزراعة التي تطبق عليها آيات العلم الحديث" في دراسة الترجمة وما تحتاج إليه من عناصر لتغذيتها.

وعلى المترجم إلى اللغة العربية أن يكون على دراية تامة بميدان التخصص في اللغتين المصدر والهدف. ومع ذلك فلا يمكن الاطمئنان أن لكل مصطلح أجنبي داخل التخصص الواحد مقابلاً واحداً لا يتغير، وهو بذلك جدير بأن يحدث التكافؤ مع النص المترجم، وهذا غير صحيح في أحيان كثيرة يقول "نيوبرت و شروف" SHREVE و "NEUBERT": "لا يمكن القول عن بعض المصطلحات المحددة القياسية من مجالات التقنية والعلوم إنها متكافئة، وحتى هذه المصطلحات يمكنها أن تأخذ معاني جديدة عندما تدخل النصوص وتصبح أجزاء من استراتيجيات الخطاب"⁽¹⁷⁾ فلفظة "universel" من قول "دوسوسير" عند حديثه عن ضرورة معرفة عالم اللسان لعدد كبير من اللغات لاستخراج القواعد العامة المشتركة تعني ما هو كلي من الكليات اللغوية (des universaux du langage)، وليس بالضبط ما تحمله كلمة "عالمي" من معنى مثلما جاء في ترجمة "أحمد نعيم الكراعين" لكتاب "دوسوسير" عندما ترجم النص الآتي:

La linguistique est obligée d'en connaître le plus grand nombre possible, pour "tirer de leur observation et leur comparaison ce qu'il y a d'universel"⁽¹⁸⁾

كما يلي: "فاللغوي مجبر على تثقيف نفسه (الاطلاع) بأكثر عدد ممكن من اللغات حتى يمكنه تحديد ما هو عالمي فيها عن طريق ملاحظاتها ومقارنتها"⁽¹⁹⁾. وعليه يصبح القارئ مطالباً بأن يدرك ما يعنيه النص لا ما تعنيه اللغة. وهذا الذي ينبغي أن يركز عليه معلّم الترجمة، فيقيم علاقة بين النص والقارئ (أو المتعلّم)، قوامها الأخذ والعطاء، بمعنى ماذا يقول لي النص؟ وماذا

أفهم منه؟ قياساً على تعبير "ياوس" عن النص الأدبي "ماذا يقول لي النص وماذا أقول له؟" ⁽²⁰⁾ وبعبارة أخرى متى يتحقق التفاعل مع النص العلمي المترجم؟

ثالثاً: التفاعل مع النص ومصادقية الترجمة العلمية:

إن تحقيق التفاعل مع النص المترجم يفترض من صاحبه تجاوز كل العوائق اللسانية عامة والمربطة باللغة العربية على وجه الخصوص. من تلك العوائق إيجاد المقابل العربي للمصطلح الأجنبي، وإن وجد فكيف له أن يتجنب إشكالية التعدد الاصطلاحي فيختار أنسب المصطلحات لأدق المفاهيم؟

إن التفاعل مظهر من مظاهر التواصل مع النص، وتحقيق التواصل هو غاية المترجم، أو قل: إن الغاية الأسمى من كل عمل ترجمي هو الوصول إلى التأثير في قارئ النص المهدف بالقدر الذي يحدثه النص المصدر في قارئه. وليس للمبنى في الترجمة من أهمية إلا توضيح المعنى. لذلك وجب على المترجم أن يتوخى الأهداف ذاتها التي يصبو المؤلف إلى تحقيقها لدى القارئ. وعليه فهو مطالب باستكشاف النص الأصلي، والاستكشاف يناقض الاستنساخ، ومعناه أن يدرك المترجم البنية الدلالية للنص الأصلي ويعرف مفاصله وارتباطاته المنطقية قبل تحويلها إلى نص يعادله دلالياً ومنطقياً ولكن يتفاضل عنه تركيبياً. ⁽²¹⁾ وأفضل ما ينجزه في هذا الإجراء هو التغلب على الفوارق بين البنيتين اللغويتين (صوتياً وصرفياً وتركيبياً ودلالياً ومعجمياً)، والتحرر من النقل الحرفي ومن التعامل السلبي مع النص العلمي المكتوب، والتدرب على التأويل وإعادة الصياغة لا على الاستنساخ والحرفية. وتمثيلاً لذلك نأخذ فقرة عربية مترجمة من محاضرات "دوسوسير" عن كيفية التخلص من النمط التعبيري في النص الأصلي وتأصيل أسلوب بديل يكافئه دلالياً في النص العربي المهدف. والفقرة هي مقدمة حديث "دوسوسير" عن أن اللسان شكل وليس مادة، ترجمة الأستاذ الدكتور

عبد الرحمن الحاج صالح، يقول: "إن فكرنا إذا اعتبرناه في إطاره النفسي وجردناه عن الإبانة بالألفاظ، فإنه لا يكون حينئذ إلا كتلة مبهمّة لا شكل لها، فإن الفلاسفة واللغويين اتفقوا دائماً على أنه لو لا الأدلة لما استطعنا أن نميز بين فكرتين بوضوح واستمرار. فالفكر إذا اعتبرناه في ذاته ليس إلا سديما (nébuleuse) لا شيء يتحدد فيه بالضرورة، ولهذا فليست هناك معان مسبقّة الوجود ولا شيء يتميّز منها قبل ظهور اللسان"⁽²²⁾.

أما النص الأصلي المترجم فهو:

"psychologiquement, abstraction faite de son expression par les mots, notre pensée n'est qu'une masse amorphe et instinct. Philosophes et linguistes se sont toujours accordés à reconnaître que, sans le secours des signes nous serions incapables de distinguer deux idées d'une façon claire et constante. Prise en elle-même , la pensée est comme une nébuleuse ou rien n'est nécessairement délimité. Il n'y a pas d'idées préétablies et rien n'est distinct avant l'apparition de la langue"⁽²³⁾.

الملاحظ عن النص العربي المترجم أنه متحرّر تماماً من القيود النحوية والأسلوبية للنص الأصلي؛ فالمترجم لم يجاز صاحب النص في تقديم الحال (ADVERBE) (psychologiquement) وتأخير المسند إليه (SUJET) (notre pensée)، بل فعل عكس ذلك إذ قدّم المسند إليه (موضوع الحديث) وجعله في مقدمة الفقرة مسبقاً بحرف التوكيد "إن" (إن فكرنا)، والإجراء نفسه يتكرر قبل نهاية الفقرة إذ تقدّم المسند إليه ذاته (الفكر) وتحوّل محتوى الحال (ADVERBE) في النص المصدر وهي عبارة (Prise en elle-même) إلى معنى الظرفية لما يستقبل من الزمان ومتضمناً معنى الشرط في اللغة الهدف.

وقد جاء المسند إليه مقترنا بإذا الظرفية في الجملتين. وكان جواب إذا فيهما متضمنا معنى الحصر (لو لا) و(ليس إلّا) وكلاهما يدل على التوكيد، في حين أن الحصر في النص الأصلي وجد مع الجملة الأولى فقط.

فالبحت عن التكافؤ أو التعادل في الترجمة (translation /équivalence) إذن يتم انطلاقاً من مقابلة نص لنص وليس من مقابلة جملة لجملة. وهذا ما ينبغي أن يركز عليه معلّم الترجمة فيلجأ مثلاً إلى تقسيم الجمل الطويلة في اللغة الأجنبية (إنجليزية أو فرنسية) إلى جمل قصيرة في اللغة العربية. وقد يترجم نصاً دون أن يجد حاجة لأدوات الربط، وقد يحذف عدداً من الكلمات إذا كان حذفها لا يؤثر على الدلالة الجوهرية للنص ولا يفقده تماسكه الداخلي⁽²⁴⁾. وقد يلجأ إلى الشرح فيكون النص الهدف أوسع من النص المصدر. وقد يلجأ إلى التقليل بالتكثيف من المحتوى الدلالي للنص الهدف فيكون النص المترجم أقصر من النص الهدف. المهم هو الحفاظ على المحتوى البلاغي. لذا كانت عملية الحذف في الترجمة العلمية ممكنة على مستوى العناصر الهامشية، وهي تلك التي لا يؤدي غيابها إلى إحداث انقطاع أو تفكك في بنية النص الدلالية⁽²⁵⁾. أما العناصر الأساسية فهي ما يتضمنه النص من أدلة مركزية للخطاب أو فرضياته وحجج المؤلف ونتائج البحث وفق انتظام عضوي ممّا يحقق للنص انسجامه وتناسقه⁽²⁶⁾.

إن العنصر يكون غير مهم إذا لم يسهم في بناء الأفكار الأساسية للنص، ولا يؤثر غيابه في توضيح مقاصد المرسل، فتكون مفهوماً فهماً صحيحاً لدى القارئ.

وأهم ما ينبغي أن يعرفه دارس الترجمة هو الكيفية التي يتحقق بها التكافؤ المفترض بين التعبيرين أو بين النصين. وعليه فتكوينه يستلزم أن يمتلك

قدرة تنظيمية تمكنه من الترتيب السلمي للأفكار الأساسية منها والثانوية، ومن التنسيق بينهما، ومن الانتقال بين الواحدة والأخرى بشكل يحقق للنص وحدته وترابطه. وهنا ينبغي الإشارة إلى أهمية العنوان في معرفة أفكار النص الأساسية، وفي التمييز بينها وبين الأفكار الفرعية والهامشية. فالعنوان أوجز ملخص للنص لما يتضمنه من معلومات نصية هامة تمكنه من الكشف عن روابط النص. وإن أجود عنوان هو الذي يعمل على هداية القارئ إلى مقصدية النص.⁽²⁷⁾

إن إنتاج ما يريد النص قوله هو شيء ضروري لتحقيق مصداقية الترجمة، وخلق الدوافع اللازمة لإحداث التفاعل بين القارئ والنص. وعليه فالتركيز على النشاطات الكتابية المتنوعة في تدريس مادة الترجمة العلمية من شأنه أن يخلق لدى متعلم الترجمة القدرة على تجاوز القيود اللفظية في لغة النص الأصلي وانتزاع معناه، وتتمثل هذه النشاطات في الشرح والتلخيص وكتابة التقارير والتعليق. المهم أن يصل المتعلم إلى "إعادة إنتاج الطريقة التي يقول بها النص"⁽²⁸⁾.

فالقارئ لا تهمة الطريقة التي تصاغ بها الحقائق العلمية طالما أنها تبلى له بوضوح كاملة دون نقصان. وهذا ما يطلق عليه "نيومارك" "NEW MARK" الترجمة التواصلية⁽²⁹⁾ communicative.

وعليه فإن تحقيق التفاعل يقتضي خلق رابطة قوية بين النص المترجم ومتلقيه تتمثل في إنتاج ترجمة جيدة شكلا ومضمونا، ومن أهم شروطها ما يلي:

الدقة والوضوح: ونقصد بها تدقيق المفاهيم الاصطلاحية وتوحيد المصطلحات والتعابير التي أجمع عليها معظم المستعملين لها.

السلامة اللغوية والأسلوبية، وهذا يتطلب الالتزام بما يقتضيه نظام اللغة الهدف، الصوتي والصرفي والتركيبى خصوصا، ثم الاعتناء الشديد بعلامات الترقيم (punctuation) لأنها تسهم كثيرا في إجلاء معنى النص وفي تشكيلها.⁽³⁰⁾

احترام مبدأ النصية تحقيقا للاكتمال والتسلسل ومبدأ التكافؤ؛ وهذا يتطلب عدم بتر النص واحترام التسلسل المنطقي للأفكار والتشبت بالحقائق حفاظا على روح النص الأصلي.

تحقيق الاستجابة المعادلة التي من أهم متطلباتها أن يحدث النص تأثيرا مماثلا لما يحدثه النص الأصلي (المصدر).⁽³¹⁾

رابعا: الوسائل المعينة للحفاظ على أصالة الأساليب العربية في النص الهدف وخصوصياتها البلاغية:

لا شك في أن اللغة هي الوسيلة المثلى لنقل محتوى النص العلمي وتبليغه مهما كانت أفكاره ومهما تعمقت واتسعت. والعناية بها عناية بالمحتوى وما يتضمنه من دلالات ومفاهيم. وإن امتلاك المترجم لأساليب التعبير العربي، وهي تلك التي تبليغ بها المقاصد بيسر من دون لبس، تمكنه بعد فهمه لموضوع ترجمته من التحرر من قيود تراكيب النص الأصلي وأنماطه التعبيرية، ومن إخراج أصيل للنص لا تُشتَم منه رائحة الترجمة. وتُجتمَع هذه الأساليب في مقومات تركيبية عربية هي:

- الإيجاز والحذف
- التقديم والتأخير
- الفصل والوصل

1. الإيجاز: كما هو معروف هو أداء المقصود من الكلام بأقل العبارات⁽³²⁾ ويقتضي الاستغناء عن كل ما لا علاقة له بالحقل الفكري والمعرفي⁽³³⁾. والعربية لغة الإيجاز، وقد عرف عن العرب الفصحاء استغنائهم عن كل لفظ لا يؤدي حذفه إلى الإخلال بالمعنى. وقد أوضحت بعض التجارب "أن نص الترجمة إلى اللغة العربية يقل عن الأصل بنحو الخمس أو أكثر إذا توفرت الخبرة اللغوية عند المترجم وأجاد التصرف"⁽³⁴⁾.

ويمتاز المبني للمفعول (أو المبني لما لا يسم فاعله) في العربية أنه أكثر إيجازاً إذا ما قورن باللغات الأوربية، إذ يحذف الفاعل لفظاً وتتغير صيغة الفعل الذي يبنى مباشرة للمفعول. وقد يستتر الفاعل فلا يذكر تماماً للعلم به.

وقد يغدو الحذف أبلغ من الذكر وأزيد وأبين منه، وقد تحدّث "عبد القاهر الجرجاني" عن أهمية الحذف (ترك الذكر) في الإيجاز فقال: "فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدر أنطق ما تكون بيانا إذا لم تبين"⁽³⁵⁾.

2. التقديم والتأخير: وأهم مظاهره الدلالة على فائدة لا تحصل دونها، ولا يخفى أن ترتيب الألفاظ في الجملة وتقديم بعضها عن بعض في الكلام مرتبط بما يقتضيه المعنى وتسمح به قواعد النحو. من ذلك تقديم الخبر (المسند) على المبتدأ (المسند إليه) في الجملة الاسمية، وتقديم المسند إليه (الاسم) على المسند (الفعل) في الجملة الفعلية، ومنه تقديم الاسم بالاستفهام بالهمزة وتأخير الفعل، فعند قولك: "أ كتبت الرسالة؟" فالسؤال منصب على الكتابة هل أنجزت أم لا؟ وأما قولك: "أ أنت كتبت الرسالة؟" فإنك تسأل عمن كتب الرسالة؛ هل هو المخاطب المشار إليه بالضمير المنفصل (أنت)؟

وما ينطبق على التقديم والتأخير مع الاستفهام ينطبق عليه مع النفي، فمن ذلك قولك: "ما كتبت الرسالة؟" فإنك تنفي كتابة الرسالة نفياً مؤكداً. أما إذا قلت: "ما أنا كتبت الرسالة" فإنك تؤكد كتابة الرسالة من جهة وتنفي عن نفسك كتابتها من جهة أخرى.⁽³⁶⁾

وغاية ما في التقديم والتأخير تمكين المتكلم من التصرف الواسع في اللغة والتعبير. وعلى المترجم أن يكون مطلعاً على هذه الإمكانية التحويلية التي توفرها اللغة العربية لتعينه على إيجاد التعبير المناسب للمحتوى العلمي في النص الهدف.

3. الوصل والفصل: وهو من أهم الوسائل التي تضمن التسلسل والتناسك بين جمل النص، يقول "عبد القاهر الجرجاني" معرّفاً الوصل والفصل مبيناً أهميتهما: "اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منشورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة [...] فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها، فقال: معرفة الفصل من الوصل، وذاك لغموضه ودقة مسلكه"⁽³⁷⁾.

وهذا الغموض وتلك الدقة التي وصف بها الجرجاني الفصل والوصل من الصعوبات التي تواجه المترجم المبتدئ على وجه الخصوص في تنظيم الجمل وتوثيق الروابط بينها، فباستعمال حروف الجر في اللغة العربية تتجلى الدقة في أبعد معانيها، فقد أحصى "د/ميشال زكريا"⁽³⁸⁾ تسعة (9) حروف جر في اللغة العربية تسعاً وثلاثين (39) سمة (معنى). والسمة عنده ما يختص به كل حرف جر من دلالة، كالدلالة على الملكية والسبب والغاية والاتجاه والمصاحبة والزمان والمكان والواسطة وغيرها.

وأحصى لتسعة (9) حروف جر في اللغة الإنجليزية أربعين (40) سمة، أهمها المكان والزمان والسبب والواسطة والاتجاه والمصاحبة والفاعل والغاية والاختصاص والملكية.

وعليه فإن معرفة المتعلم لهذه الفروق في اللغتين سيملكه -لا محالة- من التحرر من قيود اللغة المصدر وتراكيبها الشكلية، والحفاظ على أصالة الأسلوب العربي وخصوصياته البلاغية.

ويمكن اللجوء إلى تقنيات لغوية تتفادى بها الوقوع تحت وطأة الترجمة الحرفية لأنها تعتمد التأويل مع احترام اللغة المنقول إليها، وتتمثل هذه التقنيات في ما يلي⁽³⁹⁾:

1. تقنية الإبدال: (la commutation) وفيها يتم تعويض أقسام الكلم في اللغة المصدر بأقسام أخرى مغايرة في اللغة المهدف، كإبدال الفاعل بالصفة أو بالاسم أو بغيرهما.

2. تقنية التطويع: (modulation)؛ ونلجأ إليها عندما لا نجد المقابل المناسب لما نريد ترجمته خصوصاً إذا كانت اللفظة أو العبارة المترجمة ذات حمولة ثقافية خاصة بمجتمع اللغة المصدر.

3. تقنية التكافؤ: وهي مكّمة لتقنية التطويع، ويتم فيها "البحث عن وضعيات متكافئة بين الثقافتين وليس عن مرادفات في اللغتين لتأويل المعنى وترجمته"⁽⁴⁰⁾.

4. تقنية الزيادة (Addition): هي ضرب من الشرح، بها ينتقل المترجم من الضمني إلى الظاهر دون زيادة في المعلومات، ومما تم السكوت عنه في النص الأصلي إلى إظهاره دون أي تحريف للمعنى أو تشويهه.

5. تقنية الحذف: (soustraction) التي يتجاوز فيها المترجم بعض العلامات الظاهرة لينقل الضمني دون أن يحرف المعنى.

6. تقنية التحويل: (Transformation): وتمس تغيير الجوانب النحوية الدلالية والصوتية دون تحريف للمعنى الأصلي (في اللغة المصدر).

ولا شك أن مراعاة هذه التقنيات اللغوية الصرفة من شأنه أن يساعد على تهيئة الأرضية الصلبة "للانفتاح السليم على الخطاب العلمي الأجنبي والاستيعاب المثمر له من جهة، ولتدعيم الخطاب العلمي العربي ودفعه إلى التفاعل مع الخطابات الأجنبية من جهة ثانية"⁽⁴¹⁾.

خامساً: من أجل تفاعل بقاء مع النص العلمي العربي المترجم:

ونختم بحثنا هذا بتصور للشروط الواجب توفرها في النص العلمي العربي المترجم ليحقق أكبر قدر من التفاعل. والتفاعل تحققه بالدرجة الأولى الترجمة الجيدة التي تقتضي من المترجم أن يحيط إحاطة تامة بالمادة اللغوية للنص الأصلي وبمحتواه، وأن يترجم الأقوال والنصوص ويتجنب ترجمة الألفاظ وعدم التقيد بالأبنية الصرفية في اللغة المصدر حتى يبدو النص في اللغة الهدف (اللغة العربية) أصيلاً وكأنه لم يترجم⁽⁴²⁾.

وعليه فإن اقتراحنا ينصب على اعتماد التوجه التأويلي بديلاً عن ترجمة تراهن على الجانب المعجمي لتأسيس بيداغوجية الترجمة العلمية التي يتحقق بها عنصر التفاعل والتواصل مع النص.

إن الترجمة التأويلية منطلقها تحليل النص المصدر، أي قراءة تسائل النصوص وتفكيكها وتعيد بناءها في النص الهدف دلاليا لتحررها من الحرفية واللفظية. إنها معايير الانسجام والاتساق والمحيط التداولي للنص. ويمكن تحديد مسار الترجمة التأويلية في المراحل الثلاث.⁽⁴³⁾

1. قراءة النص قراءة مستفيضة، والتحقق من فهم المعنى الأصلي. تتم العملية بتفكيك البنية السطحية للنص واستخراج المصطلحات والتراكيب الاصطلاحية، على أن تحدد المصطلحات التي لا مقابل لها في اللغة العربية.

2. تعرية النص الأصلي من ألفاظه الأصلية واستعادة المحتوى الفكري لنص لغة المصدر من البنية السطحية.

3. إعادة صياغة النص الأصلي في اللغة الهدف (العربية) بخطته وفق ما تقتضيه قواعدها وأساليبها من فصل ووصل وتقديم وتأخير وذكر وحذف مع مراعاة أحوال الخطاب والثقافة القبلية للمترجم عن موضوع النص.

الختام

إن الاستعانة بالمعطى التواصلى يدفعنا إلى إعادة النظر في طبيعة الترجمة وغاياتها ويجعل المتعلم منغمسا فيها، يمارسها بشكل قريب من العفوية من أجل التواصل. ثم إن فهم النصية يسهم كثيرا في فهم عملية الترجمة وتطوير تدريسها وممارستها، وأحسب أن أفضل ما يحقق التكافؤ التواصلى بين النصين: المصدر والهدف، هو الفهم العملي للنصية وطبيعة النص ونوعه ومجالة والجمهور الموجه إليه، فذلك يؤدي إلى تحسين الأداء في الترجمة.

الإحالات والهوامش:

1. انظر: Galisson, R, Coste, D ; dictionnaire de didactique des langues, traduction.
2. انظر: ألبرت نيوبرت، وغريغوري شروف، الترجمة وعلوم النص، ترجمة د/ محي الدين حميدي، نشر جامعة الملك سعود، الرياض، 2000، الهامش، ص، 210.
3. انظر: محمود الجليلي، ملاحظات حول تطوير اللغة العربية لمسايرة التطور العلمي والتقني، مجلة همزة وصل، العدد 6، الجزائر، ديسمبر 1973، ص، 203.
4. ياسين الأيوبي، أساليب الكتابة الفنية والعلمية، مجلة المعرفة، العدد 421، سوريا، أكتوبر 1998، ص، 154.
5. المرجع نفسه، ص، 154.
6. د/ خير الله عصار، مدخل إلى قضايا التعليم في العلوم الاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1985، الجزء 1، ص، 15.
7. يقول الجاحظ في هذا المعنى: "أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه" البيان والتبيين، تحقيق وشرح حسن السندوسي، دار المعرفة، تونس 1990، الجزء 1، ص، 83.
8. د/ زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، ط7، القاهرة، 1982، ص، 213.
9. انظر: Vigner, G ; Didactique fonctionnelle du français, Hachette, paris, 1980, p, 142.
10. نفسه، ص، 14 و 15.
11. انظر: Rey, Alain, le lexique : Images et Modèles , du dictionnaire à la lexicologie, Armand colin, Paris, 1977, p, 158.
12. انظر: De Saussure, Ferdinand ; cours de linguistique générale, édition critique préparée par Tullio DE Moro, Payothèque, Paris, 1983, p, 166.
13. دي سوسير، ف، فصول في علم اللغة، ترجمة: د/ أحمد نعيم الكراعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985، ص، 208.
14. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق وتعليق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1981، ص، 36.

15. دار الشروق، ط3، بيروت، مارس 2007، ص، 145.
16. المقابلات الأجنبية لهذه المصطلحات هي على التوالي:
Les genres de denrées de grains, machines agricoles, la valeur nutritive des denrées alimentaires, culture diétiques et alimentaire saines.
17. الترجمة وعلوم النص، مرجع سابق، ص، 197.
- 18 - انظر: De Saussure, Ferdinand ; cours de linguistique générale, p,144.
- 19- أحمد نعيم الكراعين، مرجع سابق، ص، 53.
- 20- انظر: الجيلالي الكدية، الترجمة بين التأويل والتلقي، ندوة الترجمة والتأويل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 1995، ص، 57.
- 21- انظر محمد الديداوي، منهاج المترجم بين الكتابة والإصلاح، والهوية والاحتراف، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 2005، ص، 328.
- 22- عبد الرحمن الحاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات معهد العلوم اللسانية والصوتية، المجلد الثاني، الجزائر، 1972، ص، 46.
- 23- انظر: De Saussure, Ferdinand ; Cours de linguistique générale, p,155.
- 24- انظر: ألبرت نيوبرت، وغريغوري شروف، الترجمة وعلوم النص، مرجع سابق، ص، 107.
- 25- انظر: د/ محمد عناني، نظرية الترجمة الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، الطبعة الأولى، القاهرة 2003، ص، 210.
- 26- انظر: د/ بشير إبرير، الخطاب العلمي وبعض خصوصياته، (رؤية تعليمية) مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 6، 2007، ص، 220.
- 27- انظر: الترجمة وعلوم النص، مرجع مذكور سابقا، ص، 171.
- 28- انظر: د/ أحمد الجوهري، ديداكتيك الترجمة العلمية، ندوة الترجمة العلمية، مرجع سابق، ص، 171.
- 29- انظر: د/ محمد عناني، فن الترجمة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان ط5، القاهرة 2000، ص، 82.
- 30- انظر: محمد الديداوي، منهاج المترجم، مرجع مذكور سابقا، ص، 43، وص، 44.
- 31- انظر: محمد الديداوي، نظرية الترجمة الحديثة، مرجع مذكور سابقا، ص، 164.

- 32- انظر: محمد الديداوي، منهاج المترجم، مرجع مذكور سابقا، ص، 25.
- 33- د/ شريف بوشحدان، واقع الخطاب العلمي في التعليم الجامعي، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، العدد6، 2000، ص، 270.
- 34- انظر: محمد الديداوي، منهاج المترجم، مرجع مذكور سابقا، ص، 25.
- 35- دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص، 83.
- 36- لمزيد من التفاصيل انظر: دلائل الإعجاز، ص، 83 وما بعدها.
- 37- دلائل الإعجاز، ص، 170، 171.
- 38- انظر: بحوث السنية عربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1992، ص، 175 وما بعدها.
- 39- نظر: أحمد الجوهري، ديداكتيك الترجمة العلمية، ندوة الترجمة العلمية، مرجع سابق، ص، 172.
- 40- نفسه، ص، 172.
- 41- نفسه، ص، 173.
- 42- انظر: د/ محمد عناني، نظرية الترجمة الحديثة، مرجع سابق، ص، 33.
- 43- انظر: الترجمة وعلوم النص، مرجع سابق، ص، 66.

